خطبة صلاة الجمعة 28/6/2024 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال، في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(تيسير الزواج)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿واللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وحَفَدَةً ورَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: 72].

وقال سبحانه في وصف عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: 74].

أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أنه: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**كلكم راع ومسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل في أهله راع وهو مسئول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسئولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته**»، قال: فسمعت هؤلاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحسِب النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**والرجل في مال أبيه راع وهو مسئول عن رعيته، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**».

وأخرج الإمام الترمذي عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**خيرُكُم خيرُكُم لأهْلِهِ، وأنا خيرُكُم لأهْلِي**».

هذه الخطبة الثامنة في سلسلة خطب عنوانها: (**الحياة الأسرية**)، تتحدث عن أهمية الأسرة وقِيَمِها وطريقةِ بنائها في الإسلام وحقوق وواجبات أفرادها وخطط أعداء الإنسان في هدمها وطرق حمايتها.

سبقت خطب عن أهمية الأسرة، ومقاصد الأسرة، وحكم الزواج، واختيار الزوج، والخطبة، وعقد الزواج أركانه وآثاره، وعقود لا تصح.

وعنوان خطبة اليوم: **تيسير الزواج**

لما كانت الأسرةُ حصنَ الفرد وسياجَ المجتمع، ولما كانت المجتمعاتُ ترقى برقي أسرها، ولما كان العقد الوحيد الذي ينشئ أسرة ويحفظها هو عقد الزواج؛ كان لزاماً على كل عاقل وعلى كل مجتمع عفيف دعمُ الزواج وتيسيرُ سبله.

في خطبة اليوم طريقتان تساعدان على تيسير الزواج، لتتحدث الخطبة القادمة عن طرق أخرى، إن شاء الله، ولن يُعدَم المرء فينا طريقة على الأقل ليعينَ على نشر الفضيلة ورفع راية العفة وتيسير الزواج.

أولاً: نشر القصص الجميلة عن الزواج.

كثيرٌ من المتزوجين يشعر بالسعادة في حياته الزوجية، غير أن الكثير منهم لا يحدث الناس عن سعادته وسروره، وإنما يتكلم الذي يشعر بالضيق والانزعاج، الأمر الذي يجعل الشباب والفتيات يترددون ويترددن في الإقدام على الزواج.

كتب الشيخ علي طنطاوي رحمه الله مقالاً نافعاً عنوانه: "قليل من يفخر بزوجته" يقول في مطلعه: (أكتب عن زوجتي، فأين مكان العيب في ذلك؟! ولماذا يكتب المحبُّ عن الحبيبة وهي صاحبة بالحرام، ولا يكتب الزوج عن زوجته وهي حبيبته بالحلال؟! ولماذا لا أذكر الحق من مزاياها لأرغِّب الناس في الزواج، والعاشق يَصِف الباطل من محاسن العشيقة فيحبّب المعصية إلى الناس؟!

إنّ الناس يقرؤون كل يوم المقالات والفصول الطوال في مآسي الزواج وشروره، فلِمَ لا يقرؤون مقالة واحدة في نِعَمِه وخيراته؟!

لم أسمع زوجاً يقول: إنه مستريح سعيد وإن كان في حقيقته سعيداً مستريحاً؛ لأن الإنسان خُلِقَ كفوراً، لا يدرك حقائق النعم إلا بعد زوالها، ولأنه رُكِّب من الطمع، فلا يزال كلَّما أوتي نعمة يطمع في أكثر منها، فلا يقنع بها ولا يعرف لذَّتها.

لذلك يشكو الأزواج أبداً نساءهم، ولا يشكر أحدهم المرأة إلا إذا ماتت، وانقطع حبلُه منها وأمَلُه فيها؛ هنالك يذكر حسناتِها، ويعرف فضائلها، أما أنا فإني أقول من الآن -تحدثاً بنعم الله وإقراراً بفضله: إني سعيد في زواجي، وإني مستريح).

ثم استرسل الشيخ في مقال طويل يصف حلاوة الزواج وسعادة المتزوجين، وختمه بقوله: (إنّ نساءنا خير نساء الأرض، أوفاهن لزوج، وأحناهن على ولد، وأشرفهن نفساً، وأطهرهن ذيلاً، وأكثرهنّ طاعة وامتثالاً وقبولاً لكل نصحٍ نافعٍ وتوجيهٍ سديد.

وإني ما ذكرتُ بعض الحق من مزايا زوجتي إلا لأضرب المَثَلَ من نفسي على السعادة التي يلقاها زوجُ المرأة الشرقية، لعلَّ الله يُلهِم أحداً من عزَّاب القرَّاء العزم على الزواج فيكونَ الله قد هداه بي، بعد أن هداني).

فمما يعزز الفضيلة ويرفع راية العفة ويُيَسّير الزواج نشرُ القصص الجميلة عن الزواج.

ثانياً: التيسير على الشاب في متطلبات الزواج من مهر وملبوسٍ للبدن أو مصاغِ العرس أو حفلتِه أو هدايا فترة العقد أو سائر نفقات الزواج.

روى الإمام أحمد وغيره عن عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ أَعْظَمَ النِّكَاحِ بَرَكَةً أَيْسَرُهُ مَؤُونَةً**».

جاء في لسان العرب: (مان الرجلُ أَهلَه يَمُونُهُمْ مَوْناً ومَؤُونةً: كَفَاهُمْ وأَنفق عَلَيْهِمْ وَعَالَهُمْ) فالمؤونة النفقة والكفاية والقوت، وأيسرهن مؤونة أي أسهلهن نفقة وكفاية ومهراً وقوتاً.

وقد جاء في رواية أخرى للحديث: «**أعظم النساء بركة أقلُّهنَّ مؤونة**» وفي رواية: «**أيسرهن صداقاً**».

فمن البركة التيسير والاختصار ومن الشؤم التعقيد والإرهاق بالطلبات.

بين يدي قصة أوردها أبو نعيم في حلية الأولياء لا أريدكم أن تفعلوا مثلها، ولكن أريد أن نيسر على الشاب في متطلبات الزواج، وإذا طالبناه بأمر أن نعينه عليه.

عن ابن أبي وداعة، قال: "كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدني أياماً فلما جئته قال: أين كنت؟ قال: توفيت أهلي فاشتغلت بها فقال: ألا أخبرتنا فشهدناها؟ قال: ثم أردت أن أقوم فقال: هل استحدثت امرأة؟ فقلت: يرحمك الله ومَنْ يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟ فقال: أنا، فقلت: أو تفعل؟

قال: نعم، ثم حمد الله تعالى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين أو قال: ثلاثة.

قال: فقمت ولا أدري ما أصنع من الفرح، فصرت إلى منزلي وجعلت أتفكر ممن آخذ وممن أستدين، وكنت وحدي صائماً، فلما صليت المغرب قدمت عَشائي أُفطر وكان خبزاً وزيتاً، فإذا بآت يقرع، فقلت: من هذا؟ قال: سعيد! قال: فتفكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيدَ بن المسيب فإنه لم يُرَ أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد.

فقمت فخرجت فإذا سعيد بن المسيب! فظننت أنه قد بدا له فقلت: يا أبا محمد ألا أرسلت إلي فآتيك.

قال: لأنت أحق أن تؤتى قال: قلت: فما تأمر؟

قال: إنك كنت رجلاً عَزَباً فتزوجت فكرهت أن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك.

فإذا هي قائمة من خلفه في طوله، ثم أخذها بيدها فدفعها بالباب وردَّ الباب، فسقطت المرأة من الحياء. فاستوثقت من الباب، ثم قدمتها إلى القصعة التي فيها الزيت والخبز، فوضعتها في ظل السراج لكيلا تراه، ثم صعدت إلى السطح فرميت الجيران فجاءوني فقالوا: ما شأنك؟

قلت: وَيْحَكُم زَوَّجَني سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد جاء بها على غفلة.

فقالوا: سعيد بن المسيب زوجك؟ قلت: نعم وها هي في الدار!

قالوا: كان خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد بن عبد الملك حين ولاه العهد فأبى سعيد أن يزوجه.

قلتُ: قد زوجني، فنزلوا هم إليها. وبلغ أمي فجاءت وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مسستَها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام.

قال: فأقمت ثلاثة أيام ثم دخلت بها، فإذا هي من أجمل الناس، وإذا هي من أحفظ الناس لكتاب الله، وأعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرفِهم بحق الزوج.

قال: فمكثت شهراً لا يأتيني سعيد ولا آتيه، فلما كان قرب الشهر أتيت سعيداً وهو في حلقته فسلمت عليه فرد عليّ السلام ولم يكلمني حتى تقوّض أهل المجلس، فلما لم يبق غيري قال: ما حال ذلك الإنسان؟

قلت: خيراً يا أبا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو، ثم انصرفت إلى منزلي فوجه إلي بعشرين ألف درهم.

أيها الإخوة:

لا أريدكم أن تفعلوا ما فعل سعيد، ولكن أريد التيسيرَ على الشاب في متطلبات الزواج من مهر وملبوس للبدن أو مصاغ العرس أو حفلتِه أو هدايا فترة العقد.

وأحب أن أعلمكم أن سعيد بن المسيّب والد العروس هو سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة المنورة جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع، وكان يعيش من التجارة بالزيت.

وأن المطلب بن أبي وداعة الصهر ترجم له ابن حبان في الثقات.

أيها الإخوة:

كلما زاد النكاح قلَّ السفاح، وكلما كثر الزواج زادت العفة، ومن هنا وجب على كل عاقل وعلى كل مجتمع عفيف دعمُ الزواج وتيسيرُ سبله، وهاتان طريقتان تساعدان في تيسير الزواج نشر القصص الجميلة عن الزواج والتيسير على الشاب في متطلبات الزواج من مهر وملبوس للبدن أو مصاغ العرس أو حفلته أو هدايا فترة العقد، وللموضوع تتمة إن شاء الله.

واذكروا أنّ الزواج عبادة، وأنّ الحفاظ على الأسرة دين، وأنّ دعم الأسر القائمة والقادمة صدقة جارية.

(من مراجع الخطبة: سلسلة العفاف الاجتماعي للشعال، حلية الاولياء لأبي نعيم)

والحمد لله رب العالمين